المبحث الأول

علم المناسبات وعناية العلماء به :

المطلب الأول : ترتيب الآيات والسور :

القرآن الكريم نزل جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا كما صحت بذلك الآثار ، ثم نزل منجماً على قلب النبي ﷺ في بضع وعشرين سنة ، قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ الإسراء:١٠٦)، وقال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان :٣٢) وهو مع تباعد زمان نزوله ، وتباين الأحوال التي نزل فيها محكم نظامه ، قوي أركانه ، لا خلل فيه ولا اختلاف ، هو كما وصف الحق جل وعلا :﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(هود:١) ، وهي حقيقة سلّم ويسلم بها كل صاحب عقل متدبر ، كما قال تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾(النساء :٨٢) ، وكيف يجدون اختلافاً وقد أحكم ترتيب حروفه وكلماته وآياته الله ﷻ الحكيم العليم ، وهذا موضع إجماع بين العلماء ، وقد تضافرت الأدلة التي ترجح ترتيب سوره كذلك بأنه بوحي من الله، فالصحابة لم يقدموا آية ويؤخروا أخرى، أو يقدموا سورة ويؤخروا أخرى إلا وفق ما سمعوه من النبي ﷺ وتعلموه منه ، واستقر عليه القرآن في عرضته الأخيرة بعد اكتمال نزوله، وقد كان عمل الصديق ؓ في المصاحف جمعها في مكان واحد ، وقام عثمان بنسخه في المصاحف على حرف واحد بعد ما وقع الاختلاف بسبب الأحرف التي نزل عليها دون تدخل في تركيب آياته وسوره ، ولو

فعلوا شيئاً في ذلك لنقل إلينا كما نقل غيره ؛ خاصة وأن الترتيب متوقف عليه المعنى، ونظم حروفه وكلماته وآياته وسوره وقع به التحدي والإعجاز، وقد بسطت القول في هذا في موضوع (جمع القرآن وترتيب الآيات والسور) .

ولما كان ترتيب الآيات والسور من عند الله العزيز الحكيم ، بدأ العلماء يبحثون عن أسرار هذا الترتيب وحكمه الخاصة ، خاصة أنه قد جاء خلافاً للطريقة التي نزل عليها ، وأخذ مجالات متنوعة فيما قدم من الألفاظ وأخر ، وكذلك من الآيات ، والبحث عن مقدمة السورة وخاتمتها ، وموضوعها ومحورها ، وما بين السورة وما سبقها وما لحقها ، ومما لفت أنظار العلماء إليه أن النبي ﷺ ألمح إلى طرفه كما جاء في حديث جابر بن عبد الله وهو يصف حجة النبي ﷺ فقال : (فَلَمَّا دَنَا مِنْ الصَّفَا قَرَأَ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ) [١] ، فراعى مناسبة البدء بذكر الصفا في الآية "[٢] .

وعلى الرغم من عناية العلماء المتقدمة به ، والسعي الجاد لتخصيص المؤلفات فيه ظل طوداً شامخاً أمام العلماء ، ومركباً صعباً على الباحثين ؛ وذلك لدقة هذا الموضوع وعظمته ، وذلك لأن مبناه النظر والاستنباط ، وقد تبلور هذا العلم وعرف بعلم المناسبات ، أو المناسبة ، أو التناسب ، أو الترابط .

المطلب الثاني : تعريف علم المناسبات :

أولاً في اللغة : المناسبة : مصدر من ناسب مناسبة ، فهي من حيث مادة الكلمة تدل على " اتصال شيء بشيء"[٣]، ومنه سمي النسيب لاتصاله والاتصال به ، وبينهما

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحج ، باب : حجة النبي ﷺ ح رقم ٢١٣٧.

(٢) انظر : علم المناسبات في السور والآيات د. محمد بن عمر بن سالم ص٢٠ .

(٣) انظر:معجم مقاييس اللغة ٥/٤٢٣، ومختار الصحاح ١/٢٧٣. و لسان العرب ١/٧٥٦.

مناسبة أي مشاركة ، ونسبت الرجل ذكرت نسبه ، وهي تضمن كذلك معنى المقاربة والمشاكلة تقول: فلان نسيب فلان يعني : أنه متصل به بنوع قرابة ، وتقول ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة .

ثانياً : في الاصطلاح : عرف علم المناسبات بتعاريف متعددة إلا أنها متقاربة من حيث المعنى من ذلك :

" علم يبحث في المعاني الرابطة بين الآيات بعضها ببعض ، وبين السور بعضها ببعض ؛ حتى تعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم " .

أو هو : " علم يبحث في آيات القرآن وسوره من حيث الترابط والاتصال "[(١)] ، وعرف كذلك بأنه هو : " علة الترتيب "[(٢)] .

وعرفه السيوطي بقوله : " هو علم يبحث عن حكمة ترتيب الآيات في السورة الواحدة ، وترتيب السور مع بعضها ، مع البحث عن التناسب بين مقدمات السور وخواتيمها ، بل حتى مقدمات الآيات وخواتيمها ، بما يظهر للإنسان عظمة هذا القرآن ودقته وإعجازه ، بما فيه من ترابط وتناسب لا يمكن لعقول البشر أن تصل إليه كاملاً دعك من أن تأتي بمثله "[(٣)] .

المناسبة في اللغة: المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات ، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، والنظيرين والضدين ونحوه .

---

(١) انظر : مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ١٢٩ ، موضوع مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن والسور ، ص١٨ .

(٢) علم المناسبات في السور والآيات ص٢٧ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن – السيوطي ٢/٢٨٩.

المطلب الثالث : عناية العلماء بعلم المناسبات :

عناية العلماء بالمناسبات بين الآيات والسور قديمة اعتنى بها بعض علماء التفسير كالزمخشري في الكشاف ، والرازي في التفسير الكبير ، وابن عاشور في التحرير والتنوير وغيرهم ، وقد قال ابن عاشور في مقدمة كتابه : " وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ، ونكت البلاغة العربية ، وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض ، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي ، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى " نظم الدرر في تناسب الآي والسور " إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع ، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع ، أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض فلا أراه حقاً على المفسر "(١) .

وقال السيوطي في الإتقان : " وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته ، وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين ، وقال في تفسيره : " أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط " .

وقال ابن العربي في سراج المريدين : " ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تك·ون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه " ، وقال غيره: أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري ، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب ، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه لم جعلت هذه الآية إلى

(١) ابن عاشور ١/٨ ، فهم القرآن للحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي ت:٢٤٣ هـ وهو مطبوع لدار الكندي ، بيروت تحقيق حسين القوتلي . .

جنب هذه ، وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه ، وقال الشيخ ولي الدين الملوي : " قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا ، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له "(١) .

وهنالك من أفرده بالتأليف وخصه بالحديث من هؤلاء :

١/ الشيخ أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري" ت:٣٢٤ هـ " ، وهو أول من تكلم في علم المناسبات بصورة واضحة ، واعتنى به على وجه العموم . وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة(٢) .

٢/ الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي ت: ٦٢٣هـ " له كتاب (مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل) ، وقد أكثر البقاعي منه الانتفاع كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه (٣).

٣/ الشيخ أبو جعفر بن الزبير الأندلسي الغرناطي ت: ٧٠٨ هـ " وقد ألف فيه كتاباً سماه " البرهان في ترتيب سور القرآن " ، وقد قال عنه البقاعي : " وهو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط لا يتعرض فيه للآيات "(٤) .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ج٢/ص ٢٨٨، ٢٨٩.

(٢) انظر البرهان ٣٦/١ ، والإتقان ٣٢٢/٣ .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/١ .

(٤) المرجع السابق ٥/١.

٤/ الشيخ برهان الدين البقاعي ت:٨٨٥ هـ أفرد له كتابين كاملين هما :

أ/ "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " وهو أول كتاب شامل في علم المناسبات .

ب/ "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور " ، وهما أهم ما أُلّف في هذا العلم .

٥/ والشيخ جلال الدين السيوطي ت:٩١١ هـ ألف فيه كتاباً سماه "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع "، ووصفه بأنه في أسرار التنزيل ، وبأنه جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة " ، ومنها تناسق الدرر في تناسب السور " .

٦/ وممن كتبوا فيه حديثاً الشيخ عبد المتعال الصعيدي ت:٩٥٨ هـ " له كتاب "النظم الغني في القرآن " وقد استوعب فيه سور القرآن الكريم سورة سورة .

٧/ والشيخ محمد الغزالي له كتاب " نحو تفسير موضوعي " قال في مقدمته : " والهدف الذي سعيت إليه أن أقدم تفسيراً موضوعياً لكل سورة من الكتاب العزيز ، والتفسير الموضوعي غير التفسير الموضعي ، الأخير يتناول الآيات أو الطائفة من الآيات فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام . أما الأول فهو يتناول السورة كلها ، ويحاول رسم صورة شمسية لها ، تتناول أولها وآخرها ، وتتعرف على الروابط الخفية التي تسدها كلها ، وتجعل أولها تمهيداً لآخرها "، وما زال هذا العلم بكراً ينتظر جهود العلماء .

المبحث الثاني

أنواع المناسبات وشروط استنباطها

المطلب الأول : أنواع المناسبات :

تنقسم أنواع المناسبات من حيث العموم إلى قسمين هما :

الأول : التناسب بين السورة الواحدة : "وتسمى المناسبات الداخلية " وهذه ينظر إليها العلماء من عدة محاور أبرزها ما يلي :

١) مناسبة ترتيب آيات السورة بعضها لبعض وتناسقها وتلاحمها .

٢) مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سبقت له ؛ وذلك ما يسمى ببراعة الاستهلال.

٣) مناسبة ختام السورة لفاتحتها .

٤) مناسبة اسم السورة لموضوعها .

٥) مناسبة موضوعات السورة لمحورها وغرضها الرئيس .

٦) المناسبة بين موضوعات الآية الواحدة .

٧) مناسبة فواصل الآي للآية التي ختمت بها ، ومنه مناسبة أسماء الله الحسنى للآية التي ختمت بها .

والثاني: التناسب بين السور بعضها لبعض: "وتسمى المناسبات الخارجية" :

وهذه كذلك ينظر فيها إلى محاور متعددة من ذلك :

١) مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها .

٢) مناسبة ختام السورة لمطلع السورة التي تليها .

٣) مناسبة مطلع السورة لمطلع التي تليها .

٤) مناسبة الفواتح والخواتم فيما بينها .

٥) المناسبة بين عدد من سور القرآن .

وهناك نوع يدخل في القسمين فلا ينظر فيه إلى سورة بمفردها مع سورة أخرى ، ولا آية بمفردها مع آية أخرى ، وهو مناسبة موضوع مجموعة من السور لمجموعة من السور أو السورة ومناسبة موضوع مقطع من الآيات في السورة لمقطع آخر "[١] .

المطلب الثاني : شروط النظر في المناسبات :

لما كان علم المناسبات قائماً على استعمال الفكر والتأمل الدقيق بين الآيات والسور للوصول لارتباطها وتناسقها وهو موضوع اجتهاد وتذوق لا يستند في غالبه على دليل فقد وقف العلماء حيالها على ثلاثة مواقف: فذهب فريق منهم إلى عدم جوازها ، وأنها نوع من التكلف والقول على الله بغير علم ، وهنالك آيات متعددة لا تجد بينها ترابط بين من هؤلاء : عبد العزيز بن عبد السلام ، والشوكاني ، وأبو العلاء محمد بن غانم ، ود. صبحي الصالح وغيرهم[٢] ، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : " المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر ، قال : ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة ، في أحكام مختلفة ، ولأسباب مختلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ، إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها

---

(١) علم المناسبات والسور والآيات ص٢٩ .

(٢) انظر : البرهان ٣٧/١ ، والإتقان ٢٢٣/٣ — ٣٢٣ ، وفتح القدير ٧٢/١ .

ببعض مع اختلاف العلل والأسباب ، كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة ، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها ، واختلاف أوقاتها " (١).

قال الزركشي : " بعض مشايخنا المحققين قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها حسب الوقائع المتفرقة ، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيباً ، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف ، وحافظ القرآن العظيم لو استفتى في أحكام متعددة أو ناظر فيها أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى ولا كما نزل مفرقا بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة ، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر فإنه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال : والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففي ذلك علم جم ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له "(٢) .

وذهب فريق ثان إلى جواز طلب علم المناسبات بين السور والآيات دون شرط أو قيد ، فوصل بهم الأمر إلى درجة التكلف مع ضيق تصور للمناسبات حتى ظنوها فقط في ترابط المعاني وتداخلها جهلاً منهم بأن التناسب أحياناً يكون في التضاد ليوازن العقل بين محاسنها ومساوئها ، وأحياناً يكون التناسب بين أوائل الكلام أو خواتيمه أو محوره ونحو ذلك.

---

(١) البرهان في علوم القرآن – الزركشي ١/٣٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ١/٣٧.

وذهب فريق ثالث إلى جواز علم المناسبات نوعاً من أنواع التدبر الذي أمرنا به دون قيد لكلمات القرآن وآياته وسوره ، وأنه من العلوم المستحسنة التي يظهر من خلالها عظمة كلام الله ودقته وإحكامه لكن قيد ذلك بمراعاة شروط أهمها ما يلي :

١/ لابد لمن يتحدث في علم المناسبات من امتلاك أدوات البحث والتأمل وعلى رأس ذلك معرفة علوم اللغة والإلمام بأصول الشريعة ، وتوفر العقل القادح ، ولهذا يقولون : " المناسبة أمرٌ معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول ".

٢/ أن تكون المناسبة منسجمة مع السياق السابق واللاحق .

٣/ أن لا تكون المناسبة متعارضة مع الشرع ، ومتوافقة مع تفسير الآية غير مخالفة لها مخالفة تضاد .

٤/ أن تكون المناسبة متوافقة مع اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن الكريم .

٥/ أن لا يجزم المفسر بأن هذه المناسبة هي مراد الله تعالى ، غاية الأمر أن هذه المناسبة ما أداه إليه اجتهاده ونظره وتدبره .

٦/ أن يعلم أن المناسبة موجودة ، ولا يلزم أن تكون ظاهرة في كل موضع لكل أحد [١] .

٧/ أن لا يكون هنالك تكلف في استخراج المناسبة ، قال الشنقيطي : " ما كانت المناسبة فيه واضحة فلا ينبغي إغفاله ، وما كانت خفية لا ينبغي التكلف له "[٢].

---

(١) انظر : علم المناسبات في السور والآيات ص٣٧ .

(٢) أضواء البيان ، الشنقيطي ٨/٥٧٢.

المبحث الثالث

نماذج وأمثلة للمناسبات

المطلب الأول : المناسبات في السورة الواحدة :

هذا المبحث واسع بسعة آيات سور القرآن الكريم ، وبعضها واضح لكل متدبر للقرآن ، وبعضها يحتاج إلى إطالة نظر وتدبر ، ونذكر هنا أمثلة تشوق طالب العلم للعناية به ، من ذلك :

١/ مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له : وذلك ما يسمى ببراعة الاستهلال، ونجد هذا واضحاً في افتتاحية سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان:١) حيث دارت محاور السورة في خمس موضوعات وهي: بيان عظمة الله المستحق للعبادة ، وهذا ما أشارت إليه الآية في قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ﴾ الحديث عن كتابه المنزل وعظمة ما جاء فيه وموقف الناس منه ، وهذا ما أشارت إليه الآية في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ الحديث عن رسوله المرسل وموقف الناس من رسالته ، وهذا ما أشارت إليه الآية في قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ الحديث عن المدعوين وموقفهم مما دعاهم إليه القرآن ، بين الذين لا يرجون لقاءه ، وبين الذين يريدون أن يصرف عنهم عذاب جهنم ، والحديث عن عظمة اليوم الآخر الذي جاء القرآن والرسل للإنذار من هوله ، وهذا ما أشارت إليه الآية في قوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ .

٢/ مناسبة ختام السورة لفاتحتها :

هذا النوع أفرد له الإمام السيوطي كتاباً سماه " مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع " وهو كتاب قيم في بابه ، مفيد في مباحثه ، وهذا النوع أمثلته الواضحة كثيرة من ذلك: ما نجده في سورة البقرة التي افتتحت بصفات المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(البقرة:١-٥)، وختمت بدعاء المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٨٦) ، ومن ذلك سورة (ص) بدأت بالذكر في قوله تعالى: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾(ص :١) ، وختمت به في قوله تعالى :﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾(ص:٨٧-٨٨) ، وسورة (ق) حيث افتتحت بقوله تعالى:﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾(ق:١) ، وختمت بقوله تعالى:﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾(ق:٤٥) ، وسورة الحشر بدأت بالتسبيح في قوله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(الحشر:١) ، وختمت بالتسبيح في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ

﴿ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(الحشر:٢٤) . والأمثلة في هذا كثيرة جداً .

٣/ **مناسبة فواصل الآي للآية التي ختمت بها** : ومنه مناسبة أسماء الله الحسنى للآية التي ختمت بها ، قال الأصمعي : كنت أقرأ سورة المائدة - وهي قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾(المائدة:٣٨) ، ومعي أعرابي فقرأت هذه الآية فقلت : (والله غفور رحيم) سهواً فقال الأعرابي : كلام من هذا ؟ فقلت : كلام الله قال : أعد فأعدت (والله غفور رحيم) ثم تنبهت فقلت : (والله عزيز حكيم) ، فقال : الآن أصبت ، فقلت : كيف عرفت ؟ قال : يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع ، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع "[1] .

وحكي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ :﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة:٢٠٩) ، قرأ (أن الله غفور رحيم) ، ولم يكن يقرأ القرآن ، فقال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا ، ومر بهما رجل فقال: كيف تقرأ هذه الآية ؟ فقال :﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ، فقال هكذا ينبغي ، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل ، لأنه إغراء عليه "[2] ، وحكى النقاش أن كعب الأحبار لما أسلم كان يتعلم القرآن فأقرأه الذي كان يعلمه (فاعلموا أن الله غفور رحيم) فقال كعب : إني

---

(١) التفسير الكبير ، الرازي ١١/١٨١.

(٢) الإتقان ، السيوطي ٣/ ٣٠٣.

موعظتها مرئية: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ ، وقال بعدها ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ ؛ لأن سوق الماء إلى الأرض الجرز مرئي "[١] .

٤/ المناسبة بين موضوعات الآية الواحدة :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾(لقمان :١٩) ، فهنالك مناسبة بين التبختر في المشي ، والتقعر والفظاظة في الكلام ، فهما يدلان على خلق الكريم أو اللئيم ، قال الرازي: " هل للأمر بالغض من الصوت مناسبة مع الأمر بالقصد في المشي ؟ فنقول : نعم سواء علمناها نحن أو لم نعلمها ، وفي كلام الله من الفوائد ما لا يحصره حد ، ولا يصيبه عد ولا يعلمه أحد ، والذي يظهر وجوه :

الأول : هو أن الإنسان لما كان شريفاً تكون مطالبه شريفة ، فيكون فواتها خطراً فأقدر الله الإنسان على تحصيلها بالمشي ، فإن عجز عن إدراك مقصوده ينادي مطلوبه فيقف له أو يأتيه مشياً إليه ، فإن عجز عن إبلاغ كلامه إليه ، وبعض الحيوانات يشارك الإنسان في تحصيل المطلوب بالصوت كما أن الغنم تطلب السخلة ، والبقرة العجل والناقة الفصيل بالثغاء والخوار والرغاء ولكن لا تتعدى إلى غيرها ، والإنسان يميز البعض عن البعض ، فإذا كان المشي والصوت مفضيين إلى مقصود واحد لما أرشده إلى أحدهما أرشده إلى الآخر .

الثاني : هو أن الإنسان له ثلاثة أشياء عمل بالجوارح يشاركه فيه الحيوانات فإنه حركة وسكون ، وقول باللسان ولا يشاركه فيه غيره ، وعزم بالقلب وهو لا

(١) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ٨٠/١ .

اطلاع عليه إلا لله ، وقد أشار إليه بقوله (إنها إن تك مثقال حبة من خردل) ، أي : أصلح ضميرك فإن الله خبير ، بقي الأمران فقال : واقصد في مشيك واغضض من صوتك إشارة إلى التوسط في الأفعال والأقوال .

الثالث: هو أن لقمان أراد إرشاد ابنه إلى السداد في الأوصاف الإنسانية والأوصاف التي هي للملك الذي هو أعلى مرتبة منه والأوصاف التي للحيوان الذي هو أدنى مرتبة منه فقوله : (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) إشارة إلى المكارم المختصة بالإنسان فإن الملك لا يأمر ملكاً آخر بشيء ولا ينهاه عن شيء ، وقوله : (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً) الذي هو إشارة إلى عدم التكبر والتبختر إشارة إلى المكارم التي هي صفة الملائكة فإن عدم التكبر والتبختر صفتهم، وقوله: (واقصد في مشيك واغضض من صوتك) إشارة إلى المكارم التي هي صفة الحيوان "[1] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾(البقرة:٢٧٥) ، قال الرازي :"اعلم أن بين الربا وبين الصدقة مناسبة من جهة التضاد ، وذلك لأن الصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمر الله بذلك ، والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهي الله عنه، فكانا متضادين ولهذا قال

(١) التفسير الكبير ، الرازي ١٣١/٢٥، ١٣٢ .

الله تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ فلما حصل بين هذين الحكمين هذا النوع من المناسبة لاجرم ذكر عقيب حكم الصدقات حكم الربا "[1]

٥/ المناسبة بين عدد من الآيات :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾(النجم :١-٤) ، قال السعدي : " وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي الإلهي لأن في ذلك مناسبة عجيبة فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض ، فلولا العلم الموروث من الأنبياء لكان الناس في ظلمة أشد من ظلمة الليل البهيم ، والمقسم عليه تنزيه الرسول ﷺ عن الضلال في علمه والغي في قصده ويلزم من ذلك أن يكون مهتديا في علمه هاديا حسن القصد ناصحا للخلق وبعكس ما عليه أهل الضلال من فساد العلم وسوء القصد "[2] .

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾(الغاشية:١٧-٢٠) ، قال الزمخشري : " فإن قلت كيف حسن ذكر الإبل مع السماء والجبال والأرض ولا مناسبة ؟ قلت : قد انتظم هذه الأشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم "[3] ، وقيل : " أنه جمع بينهما على مجرى الإلف والعادة بالنسبة إلى أهل الوبر فإن كل

---

(١) التفسير الكبير ، الرازي ٧ /٧٤ .

(٢) تفسير السعدي ٨١٨/١.

(٣) الكشاف ، الزمخشري ٧٤٧/٤.

انتفاعهم في معايشهم من الإبل فتكون عنايتهم مصروفة إليها ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر وهو سبب تقلب وجوههم في السماء ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم وحصن يتحصنون به ولا شيء في ذلك كالجبال ثم لا غنى لهم لتعذر طول مكثهم في منزل عن التنقل من أرض إلى سواها فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور"(١) ، وقال الألوسي : "التناسب فيها أن الكلام مع العرب وهم أهل أسفار على الإبل في البراري فربما انفردوا فيها ، والمنفرد يتفكر لعدم رفيق يحادثه وشاغل يشغله فيتفكر فيما يقع عليه طرفه ، فإذا نظر لما معه رأى الإبل ، وإذا نظر فوقه رأى السماء ، وإذا نظر يمينا وشمالا رأى الجبال ، وإذا نظر لأسفل رأى الأرض ، فأمر بالنظر في خلوته لما يتعلق به النظر من هذه الأمور فبينها مناسبة بهذا الاعتبار "(٢) .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾(طه:١١٨-١١٩) ، قال الشنقيطي : " أنه جل وعلا ناسب في هذه الآية الكريمة في قوله ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ بين نفي الجوع المتضمن لنفي الحرارة الباطنية والألم الباطني الوجداني ، وبين نفي العري المتضمن لنفي الألم الظاهري من أذى الحر والبرد وهي مناسبة لا بالتضاد ، كما أنه تعالى ناسب في قوله ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ بين نفي الظمأ المتضمن لنفي الألم الباطني الوجداني الذي يسببه الظمأ ، وبين نفي الضحى المتضمن لنفي الألم الظاهري الذي يسببه حر الشمس ونحوه كما هو واضح "(٣) .

(١) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ١/٤٥.

(٢) روح المعاني ، الألوسي ٣٠/١١٦.

(٣) أضواء البيان ، الشنقيطي ٤/١٠٩.

المطلب الثاني : المناسبات بين السور :

١/ مناسبة افتتاحية أول سورة في القرآن بالحمد الله :

افتتاح أول سورة في القرآن بقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الفاتحة:٢) من لطائف ما ذكر في افتتاح الله كتابه بقوله الحمد لله ، قال أهل التحقيق لما كانت هذه الكلمة فاتحة الشكر جعلها الله فاتحة كلامه ، ولما كانت خاتمته جعلها الله خاتمة كلام أهل الجنة ، فقال : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (يونس :١٠) ، وأيضا ثبت أن أول كلمات الله قوله الحمد لله ، وآخر أنبياء الله محمد رسول الله ﷺ ، وبين الأول والآخر مناسبة فلا جرم جعل قوله الحمد لله أول آية من كتاب محمد رسوله ... إلى آخر ما ذكره الإمام الرازي " (١).

٢/ مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها:

مثال ذلك :

أ/ كافتتاح سورة البقرة بقوله :﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(البقرة:١-٢)، فإنه إشارة إلى الصراط في قوله :﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾(الفاتحة :٦-٧) ،كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم : ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة ، وقال الخوبي : " أوائل هذه السورة مناسبة لأواخر سورة

---

(١) التفسير الكبير ، الرازي ١/٢٢٧،٢٢٨.

الفاتحة ، لأن الله تعالى لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى ، قال : قد أعطيتكم ما طلبتم هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه ، وقد اهتديتم إلى الصراط المستقيم المطلوب المسؤول ، ثم إنه ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة ، فذكر الذين على هدى من ربهم ، وهم المنعم عليهم ، والذين اشتروا الضلالة بالهدى وهم الضالون ، والذين باءوا بغضب من الله وهم المغضوب عليهم "(١) .

ب/ كآخر الزمر مع أول غافر ، قال الألوسي : " ووجه مناسبة أول غافر لآخر الزمر أنه تعالى لما ذكر سبحانه هناك ما يؤول إليه حال الكافر وحال المؤمن ذكر جل وعلا أنه تعالى غافر الذنب وقابل التوب ليكون استدعاء للكافر إلى الإيمان والإقلاع عما هو فيه ، وبين السورتين أنفسهما أوجه من المناسبة ويكفي فيها أنه ذكر في كل من أحوال يوم القيامة وأحوال الكفرة فيه وهم في المحشر وفي النار ما ذكر "(٢) .

ج/ ومن ذلك ما نجده بارزاً بين سورة الضحى وسورة الشرح ، إذ ذكر فيها تتمة النعم التي عددها الله لرسوله الكريم ﷺ.

د/ وكالمناسبة بين المعوذتين : وتظهر المناسبة بينهما من جهة " أن المستعاذ منه هو الشر كما أن المطلوب هو الخير ، إما من فعل العبد و إما من غير فعله ، ومبدأ فعله للشر هو الوسواس الذي يكون تارة من الجن و تارة من الإنس ، وحسم الشر بحسم أصله ومادته أجود من دفعه بعد وقوعه ؛ فإذا أعيذ العبد من شر الوسواس

---

(١) انظر : أسرار ترتيب القرآن ، السيوطي ١/٧٨ .

(٢) روح المعاني ، الألوسي ٢٤/٣٩ .

الذي يوسوس في الصدور فقد أعيذ من شر الكفر والفسوق والعصيان فهذا في فعل نفسه ، وتعم الآية أيضا فعل غيره لسوء معه فكانت هذه السورة للشر الصادر من العبد ، وأما الشر الصادر من غيره فسورة الفلق فإن فيها الاستعاذة من شر المخلوقات عموما وخصوصا والله أعلم "(١) .

٣/ المناسبة بين سور القرآن في عدد من الأوجه :

مثال ذلك سورة القمر مع سورة الرحمن : قال الرازي : " اعلم أولاً أن مناسبة هذه السورة لما قبلها بوجهين :

أحدهما : أن الله تعالى افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على العزة والجبروت والهيبة وهو انشقاق القمر ، فإن من يقدر على شق القمر يقدر على هد الجبال وقد الرجال ، وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة والرحموت وهو القرآن الكريم ، فإن شفاء القلوب بالصفاء عن الذنوب .

ثانيهما : أنه تعالى ذكر في السورة المتقدمة ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ (القمر:١٦) غير مرة ، وذكر في السورة ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن :١٣) مرة بعد مرة لما بينا أن تلك السورة سورة إظهار الهيبة وهذه السورة سورة إظهار الرحمة ، ثم إن أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها حيث قال في آخر تلك السورة ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر :٥٥) ، والاقتدار إشارة إلى الهيبة والعظمة ، وقال ههنا الرحمان أي عزيز شديد منتقم مقتدر بالنسبة إلى الكفار والفجار رحمان منعم غافر للأبرار "(٢) .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧/ ٥٣٦ .

(٢) التفسير الكبير ، الرازي ٢٩/٧٣.

٤/ المناسبة بين موضوعات عدد من السور :

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ۝ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۝ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾(الحاقة :٥-١٢) ، قال الشنقيطي : " نص تعالى هنا أن فرعون ومن قبله والمؤتفكات جاءوا بالخاطئة وهي ﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ ، وكذلك عاد وثمود كذبوا بالقارعة فالجميع اشترك في الخاطئة، وهي عصيان الرسولﷺ ، فعصى فرعون الرسول ، ولكنه قد أخذهم أخذة رابية ، ونوع في أخذهم ذلك : فأغرق فرعون وقوم نوح ، وأخذ ثمود بالصيحة ، وعاداً بريح، وقوم لوط بقلب قراهم ،كما أخذ جيش أبرهة بطير أبابيل ، فهل في ذلك مناسبة بين كل أمة وعقوبتها أم أنه للتنويع في العقوبة لبيان قدرته تعالى وتنكيله بالعصاة لرسل الله ؟ الواقع أن أي نوع من العقوبة فيه آية على القدرة ، وفيه تنكيل بمن وقع بهم ، ولكن تخصيص كل أمة بما وقع عليها يثير تساؤلاً ولعل مما يشير إليه القرآن إشارة خفيفة هو الآتي :

أما فرعون فقد كان يقول : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الزخرف:٥١) ، فلما كان يتطاول بها جعل الله هلاكه فيها أي في جنسها .

وأما قوم نوح فلما يئس منهم بعد ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وأصبحوا لا يلدون إلا فاجراً كفاراً فلزم تطهير الأرض منهم ولا يصلح لذلك إلا الطوفان .

وأما ثمود فأخذوا بالصيحة الطاغية لأنهم نادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فلما كان نداؤهم صاحبهم سبباً في عقر الناقة كان هلاكهم بالصيحة الطاغية .

وأما عاد فلطغيانهم بقوتهم كما قال تعالى فيهم :﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾(الفجر:٦-٨) ، وسواء عماد بيوتهم وقصورهم فهو كناية عن طول أجسامهم ووفرة أموالهم وتوافر القوة عندهم فأخذوا بالريح وهو أرق وألطف ما يكون مما لم يكونوا يتوقعون منه أية مضرة ولا شدة .

وكذلك جيش أبرهة لما جاء مدلاً بعدده وعدته وجاء معه بالفيل أقوى الحيوانات سلط الله عليه أضعف المخلوقات والطيور :﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾(الفيل :٣-٤) .

أما قوم لوط فلكونهم قلبوا الأوضاع بإتيان الذكور دون الإناث فكان الجزاء من جنس العمل قلب الله عليهم قراهم والعلم عند الله تعالى "[1].

(١) أضواء البيان ، الشنقيطي ٢٥٨/٨ .

المبحث الرابع

فوائد معرفة المناسبات

لمعرفة المناسبات فوائد عظيمة من ذلك :

١/ إثبات أن القرآن كلام الله عز وجل :

فإن المتأمل لما في القرآن الكريم من ترابط دقيق بين حروفه وكلماته وآياته وسوره على الرغم من التباعد بين أزمنة نزوله ، وتنوع الأحوال والأمكنة التي نزل فيها يدرك تماماً عظمة هذا الكتاب وعلوه ودقته قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت:٤١-٤٢)، وقال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(هود:١) ، ولذا خاطب الله أصحاب العقول بقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾(النساء :٨٢) ، فلا تجد فيه خللاً ولا اختلافاً ، فآياته محكمة متعانقة، وسوره متناسقة متماسكة ، وأحكامه متوافقة ، وأخباره يصدق بعضها بعضاً ، ومقاصده واضحة متكاملة ، وموضوعاته متنوعة مترابطة ، وكلماته عذبة واضحة ، وحروفه ذات إيقاعات متوافقة ، من دقق فيه وأطال البحث في تناسقه وتناسبه بين حروفه وكلماته وآياته وسوره أدرك أنه من لدن حكيم خبير ، لا يمكن لبشر مهما أوتي من فصاحة وبيان أن يأتي بمثله أو قريباً منه ، ولذا خاطب الله الكافرين به بقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون:٦٨) لأنهم لو تدبروه لعلموا مصدره .

٢/ الوقوف على وجه من وجوه إعجازه :

أوجه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة من هذه الأوجه العظيمة وجه التناسب والتناسق بين كلماته وآياته وسوره بصورة لا مثيل لها من كلام الخلق قديماً وحديثاً ، ولذا صدق الحق إذ يقول :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾(الإسراء :٨٨) ،أي لا يأتون بمثله نظماً أو نسقاً وغيرها من أوجه الإعجاز والتحدي ، فهو رغم نزوله منجماً جاء بترتيب يعجز البشر أن يأتوا بمثله أبداً مهما كان علمهم وعقلهم ، قال الإمام الرازي وهو يفسر سورة البقرة : " ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل :

والنجم تستصغر الأبصار صورته

والذنب للطرف لا للنجم في الصغر "[١] .

وقال الأصفهاني: " إن القرآن معجز والركن الأبين للإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب"[٢] .

وقال البقاعي : " وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب ، وذلك أنّه يكشف أن للإعجاز طريقين : أحدهما : نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب . والثاني : نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب " [٣].

---

(١) التفسير الكبير ، الرازي ١١٢/٧.

(٢) نظم الدرر ١٩/١ .

(٣) نظم الدرر ٧/١ .

وقد قال الدكتور محمد عبد الله دراز : " إن كانت بعد تنزيلها - أي الآيات والسور- قد جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع "(١) .

٣/ رسوخ الإيمان في القلب :

المؤمن المتأمل والمدقق في جوانب التناسب والتناسق بين كلمات القرآن وآياته وسوره يوقن تماماً بعظمة كلام الله رب العالمين ، وأنه في منزلة من السمو يعجز الخلق أن يأتوا بكلام مثله نظماً وتناسباً وإحكاماً وترابطاً ، وحكمة ورحمة وهدى ، بل يعجزوا من استيعاب دقائقه وأسراره ؛ بما يجعل المؤمن أكثر تواضعاً وانقياداً ، وتدبراً ودراسة لأحكامه التي جاءت بأساليب تستوعب النفوس على اختلافها تباينها ، وتقنع العقول على اختلاف أجيالها ، وتزيد من بناء الإيمان في النفوس بقدر ما تدرك من معانيه وأسراره ؛ ولذا يقول برهان الدين البقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: " بهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب"(٢) .

٤/ الإدراك الدقيق والفهم السليم لمعاني الآيات :

من الأمور التي تساعد على فهم الآيات فهماً سليماً مراعاة السياق التي وردت فيه وذلك من خلال ربط الآية بما قبلها وما بعدها ، من ذلك ما رواه الطبري عن يزيد النحوي عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس : يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوماً يخرجون من النار وقد قال الله عز وجل: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾(المائدة: ٣٧) ،

---

(١) النبأ العظيم ص١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) ج ١/١١ .

فقال بن عباس : ويحك اقرأ ما فوقها هذه للكفار"[١] ، وما فوقها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(المائدة :٣٦) .

ولذا أحياناً عدم مراعاة السياق والتناسق بين الآيات يؤدي إلى الضلال في فهم القرآن ، وجعله يضرب بعضه بعضاً ولذا روي عن مسلم بن يسار أنه قال : " إذا حدثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده "[٢] .

٥/ النظرة الشمولية الصحيحة المتوازنة للقرآن منهج للحياة :

إن ملاحظة التناسب والترابط بين آيات القرآن وسوره من أفضل الطرق لإعطاء تصور شامل متوازن للإسلام يقول محمد الغزالي : إن مشكلة العجز عن النظرة الشاملة للرؤية القرآنية أدت إلى لون من تقطيع الصورة وتمزيقها أو إلى التبعيض المورث للخزي الواقع في حياتنا اليوم ، وكأنه صدى لقوله تعالى ناعياً عن بني إسرائيل: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾(البقرة:٨٥) ، فكان يقول : نخشى أن تكون علل الأمم السابقة قد انقلبت إلينا على الأقل من الناحية النظرية ، وأخذ بعض مقاصد الآية أو السورة وترك ما وراءها للتبرك والتلاوة ونخشى أن نكون قد وقعنا في هذا فعلاً ... نحن نعيش اليوم مرحلة التبعيض والتفاريق "[٣]

(١) تفسير الطبري ٦/٢٢٨.

(٢) ابن أبي شيبة ٧/٢٣١ ، وأبو نعيم في الحلية ٢/٢٩٢ .

(٣) كيف تتعامل مع القرآن ص٧٠ ــ ٧٣ ..

٦/ فتح مجال واسع أمام الباحثين :

وذلك للنظر والتدقيق في جوانب التناسب بين الآيات والسور بما يعطي الأمة علماً غزيراً ومعاني دقيقة تطرب لها النفوس ، ويجعل لهم مزيد بحث ونظر ويحصلون على زيادة ثواب وأجر كلما قرأوه وتدبروه ونظروا في معانيه ولم يمروا على آياته صماً وعمياناً ، خاصة أن هذه المناسبات لا يصل إليها العلماء إلا بعد طول تدبر وخوض في دقائق المعاني وترابطها ، مثال ذلك ما ذكره الزركشي في مناقشة سبب افتتاح الإسراء بالتسبيح ، والكهف بالتحميد حيث قال : " مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح وسورة الكهف بالتحميد أن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد يقال سبحان الله والحمد الله ، وذكر الشيخ كمال الدين الزملكانى في بعض دروسه مناسبة استفتاحها بذلك ما ملخصه : أن سورة بني إسرائيل افتتحت بحديث الإسراء، وهو من الخوارق الدالة على صدق رسول الله ﷺ وأنه رسول من عند الله، والمشركون كذبوا ذلك ، وقالوا : كيف يسير في ليلة من مكة إلى بيت المقدس " ، وعادوا وتعنتوا وقالوا : صف لنا بيت المقدس فرفع له حتى وصفه لهم ، والسبب في الإسراء أولاً لبيت المقدس ليكون ذلك دليلاً على صحة قوله بصعود السموات ، فافتتحت بالتسبيح تصديقاً لنبيه فيما ادعاه ، لأن تكذيبهم له تكذيب عناد فنزه نفسه قبل الإخبار بهذا الذي كذبوه ، أما الكهف فإنه لما احتبس الوحي وأرجف الكفار بسبب ذلك أنزلها الله رداً عليهم ، وأنه لم يقطع نعمه عن نبيه ﷺ بل أتم عليه بإنزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة ، وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض ، بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة "[١] .

---

(١) البرهان ١/٤٩ .

٧/ يعين على حفظ متين وفهم سليم :

لأن الذي ينظر في علم المناسبات يقوى تركيزه في فواتح السور وخواتيمها وموضوعاتها ، وما قبل الآية وما بعدها ، وما قبل السورة وما بعدها ولا شك أن قوة التركيز من أكبر معينات الحفظ المتين ، والفهم الدقيق للقرآن الكريم ، قال السيوطي : " وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء "[١] .

(١) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٢/٢٩٠.

المبحث الخامس

طرق معرفة وجه التناسب

هنالك عدة طرق ذكرها العلماء لمعرفة وجه التناسب بين الآيات في السورة الواحدة من ذلك :

١/ النظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة : وهو أن " تنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة .

٢/ المضادة :كقوله في سورة البقرة:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾(البقرة :٦) ، فإن أول السورة كان حديثا عن القرآن ، وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان ، فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه ، وحكمته التشويق والثبوب على الأول كما قيل : وبضدها تتبين الأشياء ..

٣/ الاستطراد : كقوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾(الأعراف :٢٦) ، قال الزمخشري : " هذه الآية واردة على سبيل

الاستطراد عقب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليهما إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى .

وقد خرجت على الاستطراد قوله تعالى : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾(النساء:١٧٢) ، فإن أول الكلام ذكر للرد على النصارى الزاعمين بنوة المسيح ثم استطرد للرد على العرب الزاعمين بنوة الملائكة .

٤/ ويقرب من الاستطراد حتى لا يكادان يفترقان حسن التخلص : وهو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما "[١].

وهذا مبحث واسع يحتاج إلى دراسة عميقة حتى يشمل طرق معرفة أوجه التناسب بين السور .

(١) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ٢٩١/٢.